

مختصر ابن كثير

123 - ليس بأمانيكُم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجر به ولا يجد له من دون الله

وليا ولا نصيرا .

124 - ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
نقيرا .

125 - ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله
إبراهيم خليلاً .

126 - والله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً .

قال قتادة : ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب : نبينا قبل

نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم

ونبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله : { ليس بأمانيكُم

ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجر به } { ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن

{ الآية ثم أفلح الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان . وكذا روي عن ابن عباس

الكتب خير كتابنا : التوراة أهل فقال الأديان أهل تخاصم الآية هذه في : قال أنه B

ونبينا خير الأنبياء وقال أهل الإنجيل : مثل ذلك وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام

وكتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين وأمرتهم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل

بكتابنا فقضى الله بينهم وقال : { ليس بأمانيكُم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجر به

{ الآية وخير بين الأديان فقال : { ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن } إلى قوله :

{ واتخذ الله إبراهيم خليلاً } وقال مجاهد : قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود

والنصارى : { لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى } وقالوا : { لن تمسنا النار إلا

أياماً معدودات } والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما قر في

القلوب وصدقته الأعمال وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه ولا كل من قال إنه هو

على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان ولهذا قال تعالى : { ليس

بأمانيكُم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجر به } أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد

التمني ؟ بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على السنة الرسل الكرام ولهذا قال

بعده : { من يعمل سوءاً يجر به } كقوله : { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال

ذرة شراً يره } .

وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة قال الإمام أحمد بسنده أخبرت

أن أبا بكر B قال : يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية : { ليس بأمانيكُم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه } فكل سوء عملناه جزيناه به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " غفر الله لك يا أبا بكر أألمت تمرض ؟ أألمت تنصب ؟ أألمت تصيبك اللأواء " ؟ قال : بلى قال : " فهو مما تجزون به " وروى أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الصديق قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : { من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا } فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي " قلت : بلى يا رسول الله قال : فأقرأنيها فلا أعلم أنني قد وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مالك يا أبا بكر " ؟ قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأينا لم يعلم السوء وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما أنت يا أبا بكر واصحابك المؤمنون فإنكم تجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة " . وقال ابن جرير : لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر : جاءت قاصمة الظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما هي المصيبات في الدنيا " . (حديث آخر) قال سعيد بن منصور عن عائشة : أن رجلا تلى هذه الآية : { من يعمل سوءا يجز به } فقال : إنا لنجزى بكل ما عملناه هلكننا إذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه " .

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله إني لأعلم أشد آية في القرآن فقال : " ما هي يا عائشة ؟ قتل : { من يعمل سوءا يجز به } فقال : " هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها " . وعن علي بن زيد عن ابنته أنها سألت عائشة عن هذه الآية : { من يعلم سوءا يجز به } فقالت : ما سألتني أحد عن هذه الآية منه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا عائشة هذه مبايعة الله للعبد مما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة فيضعها في كفه فيفزع لها فيجدها في جيبه حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما أن الذهب يخرج من الكير " (رواه أبو داود والطيالسي) .

(حديث آخر) : قال سعد بن منصور عن محمد بن قيس بن مخرمة : أن أبا هريرة B قال لما نزلت { من يعمل سوءا يجز به } شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سدوا وقاربوا فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها " وهكذا رواه أحمد ورواه ابن جرير عن عبد الله بن إبراهيم سمعت أبا هريرة يقول : لما نزلت هذه الآية : { ليس بأمانيكُم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به } بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الأمة من شيء قال : " أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر

ا] بها من خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحكم في قدمه " .

(حديث آخر) : روى ابن مردويه عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله { من يعمل سوءا يجز به } قال : " نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشرة " فهلك من غلب واحدته عشراته . وقال ابن جرير عن الحسن { من يعمل سوءا يجز به } قال : الكافر ثم قرأ : { وهل نجازي إلا الكفور } وقوله { ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا } قال ابن عباس : إلا أن يتوب فيتوب الله عليه رواه ابن أبي حاتم . والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال لما تقدم من الأحاديث وهذا اختيار ابن جرير والله أعلم .

وقوله تعالى : { ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن } الآية لما ذكر الجزاء على السيئات ولأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا وهو أجود له وإما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك ونسأله العافية في الدنيا والآخرة والصفح والعفو والمسامحة شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكرانهم وإنائهم بشرط الإيمان وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقيير وهو النقرة التي في ظهر نواة التمرة وقد تقدم الكلام على الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة وهذا النقيير وهما في نواة التمرة والقطمير وهو اللقافة التي على نوات التمرة والثلاثة في القرآن . ثم قال تعالى : { وم أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله } ؟ أي أخلص العمل لربه D فعمل إيماننا واحتسابا { وهو محسن } أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون (خالصا صوابا) والخالص أن يكون له والصواب أن يكون متابعا للشرعة فيصح طاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد فمن فقد الإخلاص كان منافقا وهم الذين يراؤون الناس ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلا ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين { الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم } ولهذا قال تعالى : { واتبع ملة إبراهيم حنيفا } وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة كما قال تعالى : { إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي { الآية . وقال تعالى : { ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين } والحنيف هو المائل عن الشرك قصدا أي تاركا له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لا يصد عنه صاد ولا يردده عنه راد .

وقوله تعالى : { واتخذ الله إبراهيم خليلا } وهذا من باب الترغيب في اتباعه لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد فإنه انتهى إلى درجة الخلقة التي أرفع مقامات المحبة وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في قوله : { وإبراهيم الذي وفى } قال كثير من علماء السلف : أي قام بجميع ما أمر به وفى كل مقام من مقامات العبادة فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال تعالى : { وإذا ابتلى إبراهيم ربه

بكلمات فأتمهن { الآية وقال تعالى : { إن إبراهيم كان أمة قانتا ة حنيفا ولم يك من المشركين } الآية وقال البخاري عن عمرو بن ميمون قال : إن معاذ لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرا : { وأتخذ ا إبراهيم خليلا } فقال رجل من القوم : لقد قرت عين أم إبراهيم وإنما سمي خليل ا لشدة محبته لربه عزض وجل لما قام به من الطاعة التي يحبها ويرضاها ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال : " أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل ا " .

وروى أبو بكر بن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلّم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول : عجب إن ا اتخذ من خلقه خليلا فإبراهيم خليله وقال آخر : ماذا بأعجب من أن ا كلم موسى تكليما وقال آخر : فعيسى روح ا وكلمته وقال آخر : آدم اصطفاه ا فخرج عليهم فسلم وقال : " قد سمعت كلامكم وتعجبكم إن إبراهيم خليل ا وهو كذلك وموسى كلمه وعيسى روحه وكلمته وآدم اصطفاه ا وهو كذلك وكذلك محمد صلى ا عليه وسلّم قال : ألا وإنني حبيب ا ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح ا ويدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر " . وهذا حديث غريب ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها .

وعن إسحاق بن يسار قال : لما اتخذ إبراهيم خليلا ألقى في قلبه الوجل حتى أن خفقان قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه كان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل إذا اشتد غليانها من البكاء وقوله : { و ما في السموات وما في الأرض } أي الجميع ملكه وعبيده وخلقها وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم ولا يسال عما يفعل لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته وقوله : { وكان ا بكل شيء محيطا } أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى عليه خافية من عباده ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر ولا تخفى عليه ذرة لما تراءى للناظرين وما توارى